

ودخلت أوساط الأكاديمية الأمريكية علي خط الصراع بين عدد من التيارات الفكرية حول كيفية توصيف مستقبل العلاقة بين الحضارة الغربية والإسلام في ظل أجواء الريبة التي خلفتها أحداث سبتمبر. بدا أن هناك ثلاث مدارس أساسية فيما يتعلق بعلاقة الغرب بالإسلام

بقلم أميمة عبداللطيف

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وبينما أمريكا لم تنفض بعد غبار الأزمة، بدا الغرب مشغولا ما بين أكاديميين وصناع سياسة عن كيفية التعامل مع الإسلام؟ كيف يمكن مواجهة التوتر الناشئ بعد أحداث سبتمبر؟ كيف يمكن تقديم الإسلام في النصوص ووسائل الإعلام والفصول المدرسية 0 في مقالته المعنونة (تنظير الإسلام) الصادرة حديثا عن مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية بواشنطن طرح ريتشارد بوليت أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كولومبيا سؤالاً مهماً- ربما لم يجرؤ كثيرون علي طرحه- إذ قال : "إذا نظرنا لما بعد الأزمة الحالية ومع افتراض أن الولايات المتحدة ستستمر في الهيمنة علي شئون العالم في المستقبل القريب، هل هناك موقف عقلي ما يجب أن تتبناه الولايات المتحدة تجاه الإسلام بشكل يعترف بدوره المركزي والرئيس تاريخيا وحاليا في حياة معتنقيه، وهل يتطلب هذا الموقف سياسات معينة، وهل استمرار هذا الموقف يجب أن يكون علي قدم المساواة مع اعتبارات المصلحة القومية الأمريكية؟"، إجابة بوليت علي هذا السؤال عكست التوجه الذي قررت الولايات المتحدة تبنيه في تعاملها مع الإسلام بعد أحداث سبتمبر، فبوليت يقول "إن مخاطر أخذ الإسلام في الاعتبار يتطلب إعادة تفكير عميقة لنصف قرن من نظريات العلوم الاجتماعية، ذلك أن الاعتراف بأهمية المعتقد الديني كحجر زاوية للسلوك العام من شأنه أن يثير تساؤلات حول معادلة الحداثة والعلمانية التي تشكلت خلال عصور النهضة الأوروبية" انتهت إجابة بوليت وهي تعني فيما تعنيه أن الولايات المتحدة ليست علي استعداد لإثارة تساؤلات حول المنظومة القيمية التي يستند عليها الغرب من أجل فهم وتفهم أعمق لما يعنيه الإسلام بالنسبة للمسلمين 0 فالموقف العقلي الذي كان يجب أن تتبناه الولايات المتحدة في التعامل مع الإسلام أصبح غير ذي قيمة وبدا أن هناك توجه آخر بدأت تتسرب ملامحه من خلال دراسات مراكز الأبحاث والصحافة والمنحي الذي أخذته شكل التحليلات الغربية المبدئية بعد تقارير الصدمة الأولية في الصحافة والأكاديمية الغربية التي صبت جام غضبها علي دين يحرض معتنقيه علي القتل والتدمير 0 وبدت الإجابة معدة سلفا للسؤال الملح، ماهو الخطأ الذي ارتكبه أمريكا في فهم الإسلام؟ ولماذا فشلت مراكز الدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الأوسط في التنبؤ بالخطر الإسلامي المتنامي الذي أخذ أمريكا علي حين غرة؟ علي حد قول أحد أنصار نظرية صراع الحضارات الذين كانت لهم السيادة في البدء حيث جاءت في شكل ردود تبسيطية مخلة 0 ودخلت أوساط الأكاديمية الأمريكية علي خط الصراع بين عدد من التيارات

الفكرية حول كيفية توصيف مستقبل العلاقة بين الحضارة الغربية والإسلام في ظل أجواء الريبة التي خلفتها أحداث سبتمبر. وبعد مرور ما يزيد على العامين علي أحداث سبتمبر بدا وأن هناك ثلاث مدارس أساسية فيما يتعلق بعلاقة الغرب بالإسلام، غير أنه من الصعب القول بأن أي من هذه المدارس له الغلبة والسيطرة لأن هناك تباين وإن كان طفيف بين الولايات المتحدة وأوروبا 0

(1) المدرسة الأولى تؤمن بأن أحداث سبتمبر أعطت شرعية إضافية لفكرة صراع الحضارات وحسمت الأمر لصالح الفريق الذي يرى بأن الصدام قادم لا محالة بين الغرب والإسلام وأن أحداث سبتمبر ماهي إلا مقدمة لما هو آت 0

(2) المدرسة الثانية ترى أن الغرب والإسلام أصبحا متداخلين بشكل لا يمكن معه القول بوجود الغرب ككتلة جغرافية وسياسية وثقافية منفصلة عن العالم الإسلامي، فالغرب إذن موجود في العالم الإسلامي بقدر ما إن الإسلام موجود في الغرب 0

(3) المدرسة الثالثة تعتبر أن الصراع لن يكون بين الحضارات بقدر ما سيكون داخل الحضارة الإسلامية ذاتها بين المعتدلين والمتطرفين، فروبرت هفتر عالم الاجتماع الأمريكي اعتبر أن الهجمات لم تكن موجهة للولايات المتحدة فحسب وإنما كذلك إلي ما أسماهم "بالمسلمين ذوي التوجهات الديمقراطية في العالم أجمع، ذلك أن الهجوم كان بمثابة الفصل الأخير في الصراع بين المسلمين المعتدلين والإسلاميين المتعصبين لكسب عقول وقلوب المسلمين!"

أنصار المدرسة الأولى لا يشيرون مطلقا إلي أنه إذا كانت هناك أسباب كراهية بين الغرب والمسلمين فهي سياسية بالدرجة الأولى وليست ثقافية أو حضارية أو دينية 0 فتلك المدرسة كانت دوما تتعمد رفض تفسير أسباب الكراهية علي أنها تعود لسياسات أمريكية مجحفة بدءا من انحيازها المتطرف لإسرائيل مرورا باستمرار سياسة فرض العقوبات ضد العراق الأمر الذي أدى لمقتل ما لا يقل عن خمسمائة ألف طفل عراقي وفق إحصاءات منظمة اليونيسف وليس انتهاء بعدم رغبتها الصادقة في تدعيم الديمقراطية والحقوق المدنية في الدول الإسلامية واعتبار أن وجود أنظمة حكم ديمقراطية في الدول الإسلامية سببه الرئيس هو الاسلام 0 هذه المدرسة تصور الإسلام باعتباره حركة واحدة متحدة في عداؤها للغرب والولايات المتحدة وحينما يصور الإسلام باعتباره كتلة واحدة صماء فهو يعكس العقلية الاستشراقية التي ترفض فهم التنوع داخل الإسلام وذلك للحصول علي تفسيرات مبسطة ومخله 0 هذه الهوية المصطنعة التي يضيفها الغرب علي الإسلام هي نتاج المخيلة الغربية وتعكس فويا عميقة لأن هذا التفسير المبسط يجعل الإسلام شيئا مجهول وغامض وتعكسها توصيفات مثل الإسلام أو المسلمين وكان الدول الإسلامية تمتلك إتحاد الهدف الذي يتخطى كل الحواجز القومية وأن هناك إجماع علي ذلك وبالتالي يتحقق الهدف من خلق الاسطورة 0

يصف طارق علي المفكر اليساري المعروف ورئيس تحرير دورية نيوليفت ريفيو (اليسار الجديد) وجهة النظر التي تجعل من الحضارة الإسلامية كتلة متحدة في عداؤها ضد الغرب بأنها "نكتة" ويقول بأنه ليس هناك صراع بين

الحضارات وإنما صراع بين الأصوليات وبالتحديد الأصوليتين المسيحية
المسيطرة علي مقدرات الأمور في الولايات المتحدة وبين الأصولية
الإسلامية، ليس إذن من المستغرب أن أولئك الذين يتبنون فكرة أن الإسلام
هو عدو الغرب، هم إما أصدقاء حميمين لإسرائيل أو إسرائيليين من أمثال
مارتين كرامر ودانيال ياييس وبرنارد لويس.